التصوف الفلسفي ومعتقدات الأرواحيّة

الدُّكتور محمد البشر سميلا، المدرسة العليا لإعداد المعلمين بماكو–مالي

salbachar@yahoo.com

Résumé :

L'article porte sur le mysticisme (soufisme) philosophique et croyances animistes ; le soufisme a connu de nombreuses influences étrangères (indiennes, persanes et grecques), qui ont éloigné certaines confréries soufies du concept soufi et de la religion islamique. L'article s'interesse à l'étude du soufisme, une ancienne doctrine philosophique antérieure à l'islam et qui trouve ses origines dans la philosophie de Platon. Le but de cette doctrine est de s'ouvrir aux sciences métaphysiques, aux croyances animistes et à l'idée de réincarnation en Afrique noire, et de croire à la capacité des âmes des morts d'apporter le bien et de repousser le mal.

Mots clés: soufisme philosophique, croyances animisme, panthéisme, vénération des ancêtres.

الملخص

تناولت الورقة البحثية الحديث عن التصوف الذي دخل عليه الكثير من المؤثرات الأجنبية، منها الهندية والفارسية واليونانية؛ مما جعل بعض الطرق الصوفية تبتعد كثيرا عن المفهوم الصوفي، بما تحتضن من خرافات وأساطير في الدين بعيدة كل البعد عن منهج الدين الإسلامي الصّحيح وشريعته الغراء. كما تطرقت إلى دراسة الحركة الصوفية، التي تعتبر عقيدة فلسفية قديمة نشأت قبل الإسلام في عهد أفلاطون؛ غايتها فتح القلب على العلوم الغيبية، وعلاقتها مع معتقدات الأرواحيّة، وفكرة تناسخ الأرواح في أفريقيا السوداء، مع الاعتقاد أن للأرواح قدرة على جلب الخير ودفع المضرة.

الكلمات المفتاحية: التصوف، الفلسفة، المعتقدات الأرواحية، وحدة الوجود، تقديس الأسلاف

المقدمة:

في هذا المقال لا نتحدث عن التصوف الإسلامي في صدر الإسلام ولا في عهد الصحابة والتابعين (القرون الخيرية الثلاثة).و حتى لا نتحدث عن مفاهيم وتعريفات، ولاعن أفكار متناقضة ومذاهب شتى، وآراء متعددة، وطرق صوفية متنوعة؛ ولكن الحديث يدور حول التصوف الذي دخل عليه الكثير من المؤثرات الأجنبية كالهندية والفارسية واليونانية التي استطاعت أن تجعل من الطرق الصوفية مدارس متنوعة ومسالك متفرعة، تسعى كل طريقة إلى انتهاج أوراد خاصة بها وتجمع حولها المريدين والأتباع، وهذا ما جعل بعض الطرق الصوفية تبتعد كثيرا عن المفهوم الصوفي في صدر الإسلام، وصارت الطرق الصوفية بما أدخلته من بدع، وخرافات في الدّين بعيدة كل البعد عن طريق الدّين الإسلامي الصّحيح وشريعته الغراء.

وقد يلجئون إلى أراض مشجرة ومغارات مظلمة يرقصون فيها ويطبخون بها؛ اعتقادا منهم أنهم يرضون الآلهة، وتراثنا الشفوي – الأفريقي – يتحدث عن كثير من الخرافات والأساطير من هذا القبيل.

أسباب اختيار الموضوع: دراسة قضايا التصوف الفلسفي للوقوف على كنها وحقيقتها وعلاقتها بالمعتقدات الأرواحية والمرتكزات الفلسفية.

أهمية الموضوع: تأتي أهمية الموضوع في كونها تساهم في كشف اللثام عن حقيقة التصوف الفلسفي البدعي التي تأثرت كثيرا بالمؤثرات الخارجية.

أهداف الموضوع: يهدف الموضوع إلى:

1-سرد تعريفات ومفاهيم حول مفهوم التصوف الفلسفي والأرواحية.

2-بيان حقيقة هذه الصوفية وعلاقتها بنظرية وحدة الوجود والحلول والاتحاد.

3-ذكر نماذج من المعتقدات والتصورات التي تخالف معتقدات التصوف الإسلامي الصحيح.

منهج البحث: لمعالجة الموضوع تناول الباحث المنهج التاريخي الوصفي لدراسة الظاهرة.

مشكلة البحث: تكمن إشكالية الموضوع على أن هناك علاقة تشابه أو شبه علاقة تناسقية بين بعض المرتكزات الفلسفية والتصوف الفلسفي وبينه وبين بعض المعتقدات الأرواحية.

حدود البحث: ينحصر الموضوع على دراسة التصوف الفلسفي الخرافي التي نشأت قبل الإسلام وانتشرت في ربوع العالم الإسلامي عقب الفتوحات.

هيكل البحث: يتضمن هيكل البحث من مقدمة تناولت أسباب اختيار الموضوع، وأهميته، وأهدافه، ومنهجه، ومشكلته،

وحدوده، وتم تقسيم الهيكل إلى مبحثين:

المطلب الأول: التصوف الفلسفي.

المطلب الثاني: معتقدات الأرواحية.

وخاتمة تتضمن أهم النتائج وقائمة للمصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية:التصوف الفلسفي، المعتقدات الأرواحية، وحدة الوجود، تقديس الأسلاف.

المبحث الأول :التصوف الفلسفي

الصوفية: هي عقيدة فلسفية قديمة نشأت قبل الإسلام في فلسفة أفلاطون، غايتها- كما يزعمون- فتح القلب على العلوم الغيبية التي لا تتلقى عن الرسل بطريقة الكشف من الله.

وقد انتشر في العالم الإسلامي عقب اتساع الفتوحات ازدياد الرخاء الاقتصادي كردة فعل مضادة للانغماس في الترف الحضاري، مما حمل بعضهم على الزهد الذي تطور بهم إلى أن يتوخوا تربية النفس والسمو بها بغية الوصول إلى معرفة الله بالكشف والمشاهدة .[1]

[1] محمود كوما: الفكر الإسلامي ، الطبعة الثانية، نشر وتوزيع المكتبة الإسلامية الحاج عيسى أنغيبا، بماكو/مالي بدون تاريخ نشر، ص: 85

التصوف ليس مذهبا ولكنه في حقيقة الأمر مجموعة من الأفكار والمذاهب الكثيرة التناقض، أو على أقل تقدير متباينة فالكلام عنه كشيء واحد غير ممكن[2]. ومن هنا ظهر هذا النوع من الصوفية، ذلك أن هذه الأخيرة تمارس نشاطاتها ولا تتحدث عن السلبيات والإيجابيات لها. وكذلك لا تخفي عليهم أن ممارسات أتباعهم الخاطئة لكنهم لا ينتقدونه؛ والسبب في ذلك إما فقدانهم الشجاعة لمواجهتها أو خوفهم من أن النقد يهز معتقدي المريدين ويضعف ولاءهم من ناحية أخرى، فإن منهم من يقبل المعتقد المنحرف على أساس تأويل النصوص تأويلا فاسدا لسوء فهمه أو لسوء قصده.[3]

التصوف البدعي: هم المنحرفون الخارجون عن الملة من أصحاب وحدة الوجود والحلول والاتحاد وإسقاط التكاليف، وهؤلاء قد يشار إليهم أحيانا بأصحاب التصوف الفلسفي. وقد تستعمل عبارة تصوف فلسفي للإشارة إلى التصوف الأقرب للتصور الفلسفي (قضايا طبيعة وجود العالم والإنسان وعلاقة هذا الوجود بالله) ...

وتستعمل عبارة تصوف بدعي للإشارة إلى بدع ومخالفات تتصل بالعبادة والسلوك، قد تؤدي إلى حدود إخراج صاحبها من الملة.[4]

نظريات الحلول والاتحاد ووحدة الوجود:

الحلول: يعني وجود شيء داخل شيئ آخر، دون أن يفقد أحدهما طبيعته أو هويته أو ماهيته أو ذاتيته، فتحل الذات الإلهية في الذات الإنسانية، ليحل على حد تعبيرهم اللاهوت في الناسوت.

أما الاتحاد: فيعني أن تكون الذاتان أكثر تداخلا وقربا، وقد يفقد الشيء في هذه الحالة ذاته أو بعض خصائصها وصفاتها.

أما وحدة الوجود: فتعني أن الأشياء كلها في الأصل شيء واحد، ولكن هذا الشيء، قد يظهر بمظاهر متعددة، فيظهر الله–تعالى عن ذلك علوا كبيرا–في صورة إنسان أو حيوان أو نبات أ وجماد[5]

حقا، صاغ هيغل هذا البرنامج الجبار، برنامج تقديم الكون بأسره، كون الطبيعة والتاريخ والروح، ككل واحد، مشبع بالعقل وينبسط كعضوية حية واحدة.

ومنظومة هيغل بأسرها، فلسفته للطبيعة وفلسفته للتاريخ على حد سواء، التي تحاول أن تضع الإنسان في مكان الله.[6]

---

[2] دكتور عبدالله حسن زروق: أصول التصوف، المركز القومي للإنتاج والإعلام، الطبعة الثانية 1417هـ/1996م الخرطوم،ص:12.

[3] ينظر المرجع نفسه، ص: 11

[4] المرجع نفسه، ص: 15.

[5] المرجع السابق، ص: 76

[6] روجيه غارودي : فكر هيغل، ترجمه وقدم له : إلياس مرقص، دار الحقيقة/ بيروت، الطبعة الثانية: 1983م ص: 208 .

وقد تصور رجال الدين–في الديانة الهندية–من البراهمة فكرة الخلق على النحو التالي: (ففي الأصل كان الموجود واحدا، ثم خلق النور، ومن النور انبثقت المياه، ومن المياه تكونت الأرض، وكل ذلك تم بإرادة براهما وقدرته).

وبراهما: موجود حي لا منتهى له، لا يحد ولا يوصف، وهو الوجود في كل موجود، والأشياء الجزئية إنما هي ظواهر ودلائل براهما، وهذا يعني القول بالحلول، ويؤمن البراهمة بالنتائج، وينفون الموت، ويعتبرون العقل وسيلة لمعرفة الخالق.[7]

وتشرح الفيدات[8] * طبيعة براهما الإله الخالق الذي هو «أتما» أو النفس الخالدة في الإنسان، وتصور الكون كنسيج متطور مع كيان الله، كما تجعل امتزاج الفرد مع الله صورة لامتزاج النفس مع الروح.[9] وقد ظهر لنا على هذا المنوال ما يلي:

أن مدرسة الاتحاد والحلول تقوم على قواعد التصوف الهندي والنصراني، حيث يتصور الصوفي عندها، بأن الله قد حل فيه وأنه قد اتحد هو بالله، فمن أقوالهم (أنا الحق) (وما في الجبة إلا الله)...

أن مدرسة وحدة الوجود تقوم على أن الله في كل شيئ وهو كل شيء.[10] الوجود موجود، اللاوجود غير موجود (أو بمفردات أخرى: الكينونة كائنة، اللاكينونة غير كائنة، أو: ما هو هو، ما ليس ليس، وجود الوجود ينفي ويستبعد وجود اللاوجود)[11] العام ليس موجودا إلا في الخاص، أي العام موجود في الخاص.[12]

والفيلسوف هيغل ينسب نفسه إلى لوثر المصلح الديني الألماني، يستشهد مرارا بمطلع نشيده الجنائزي «الله نفسه مات»، مؤكدا وحدة هوية الله والإنسان.[13]

نظرية وحدة الوجود:

تقول هذه النظرية في مدلولها البسيط أن كل الموجودات التي في الكون هي رغم كثرتها وتعددها في الحقيقة شيء واحد، وهذا الشيء هو الله سبحانه وتعالى – تعالى عن ذالك علوا كبيرا – فالله يظهر ويتجلى في صورة متعددة.

وقد حاول ابن عربي أن يعطي حججا تسند هذه النظرية وتمسك بكل لوازمها المنطقية فقال: ألا ترى أن الحق يظهر بصفات المحدثات وأخبر بذلك عن نفسه وبصفات النقص وبصفات الذم – تعالى عن ذلك علوا كبيرا

---

[8] * ديانة (الفودو) وهي ديانة تعتمد على فكرة التناسخ ووجود أرواح شريرة وأخرى طيبة، يراجع مجلة التواصل العدد 12 عام 2006م ص: 141.

[9] د.عيسى عبد وأحمد إسماعيل يحي : حقيقة الإنسان، الكتاب الثاني، دار المعارف /الطبعة الثانية 1981م ص: 51

[10] يراجع محمود كوما ص: 89

[11] لينين: الدفاتر الفلسفية ج1 ص: 50

[12] المرجع نفسه، ص: 108

[13] . محمود كوما، مرجع سابق، ص: 9

– ألا ترى أن المخلوق يظهر بصفات الحق من أولها إلى آخرها وقال بتنزيه الذات الإلهية وبتشبيهها في نفس الوقت، وعبر عن ذلك في أبيات شعرية:

فإن قلت بالتنزيه كنت مقيـــــدا وإن قلت بالتشبيه كنت محددا

وإن قلت بالأمرين كنت مسددا وإن كنت إمام العارفين مسيدا[14]

استدل على التنزيه بقوله تعالى : (ليس كمثله شيء) وبالتشبيه بقوله تعالى : (وهو السميع العليم) فالحق خلق بهذا الوجه فاعتبروا وليس خلقا بذاك الوجه فاذكروا وأن القول بالتنزيه والتشبيه في نفس الوقت قد يعد تناقضا.

وقال إن الخالق والمخلوق شيء واحد، وعبر عن ذلك في الأبيات التالية:

فأنت عبد وأنت رب لمن له فيه أنت عبـــد

وأنت رب وأنت عبد لمن له في الخطاب عهد

وقال ابن عربي:

كذاك الحق أوجدني فأعلمه فأجده فيحمدني وأحمده ويعبدني وأعبده[15].

عقيدة وحدة الأديان:

إن عقيدة وحدة الأديان تنبثق من عقيدة وحدة الوجود، فمادام الوجود عبارة عن تجليات لله في صور مختلفة فلا ينبغي أن يقصر العابد نفسه على مجال واحد دون غيره، فعليه أن يجمع بين عبادة كل الأشياء وعليه أن يدين بكل دين. أي أن يدين بالإسلام والنصرانية وإليه ودية والوثنية في نفس الوقت.

ولقد عبر عن ذلك ابن عربي في الأبيات التالية:

لقد صـار قلبي قابل كل صورة فمرعى لغزلان ودير لراهب

وبـــيت لأوثان وكعبة طائف وألواح توراة ومصحف قرآن

أدين بدين الحب إني توجهت ركائبه فالحب ديني وإيماني[16] .

إن رغبة الجمع بين كل الأديان في دين واحد رغبة زائفة وغير واقعية وغير ممكنة، لأن هذه الأديان في شكلها الحالي تتعارض وتتنافى، فقد يبدو الجمع في قلب واحد كبير بين كل الأديان أمر مستحسن، وهو فكرة جذابة لكثير من الناس وقد تكون دوافعه نبيلة وهي إزالة الصراعات الضيقة بل الدامية بين الأديان.

[14]. يراجع أصول التصوف ص: 78

[15] المرجع نفسه ص: 79

[16] المرجع نفسه ص: 79

إن هذا الدين الذي يجمع كل الأديان ليس بالمسيحية وليس بالإسلام، إنه دين جديد قد يكون دين الحب لكل شيء وهو بلغة وحدة الوجود، حب للجميل والقبيح، إن هذه الفكرة الرومانسية لا تحل قضايا الإنسان[17].

وعليه، يمكن إيراد بعض الأفكار والمعتقدات الصوفية:

1 يعتقدون بأن للدين شريعة وحقيقة، فالشريعة هي الظاهر من الدين والحقيقة هي الباطن، الذي لا يصل إليه إلا المصطفون الأخيار، وأن من وقف عند علم الشريعة فقط لا ينجو في الآخرة.

2 يعتقد بعضهم أن الهداية قد أتتهم من هاتف هتف به وحملته على ترك أبيه وأمه وبلده والخروج من دنيا الناس، وأنه بالمجاهدة والصبر يحصل لهم النور الذي يعرف به علم الحق والباطل.

3 يزعمون أن الولاية قاصرة على أناس مخصوصين، مع أن الولاية لكل مؤمن[18] قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾ البقرة: ٢٥٧ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾﴾ المائدة: ٣٥

الوسيلة التقرب إلى الله تعالى بالإخلاص له في العبادة على وفق ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلّم.

قال العلّامة الشنقيطي رحمه الله: ما يزعمه كثير من ملاحدة أتباع الجهال المدّعين للتصوف من أن المراد بالوسيلة في الآية الشيخ الذي يكون له واسطة بينه وبين ربّه، أنه تخبط في الجهل والعمي وضلال مبين وتلاعب بكتاب الله تعالى، واتخاذ الوسائط من دون الله من أصول كفر الكفار، كما صرح به تعالى ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ يونس: [19] بعض أقوالهم المشهورة: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ...﴿٣﴾﴾ الزمر: ٣

- الدنيا جيفة وطلابها كلاب.
- اعلم عدد الرمل كم هي رملة: واعلم موج البحر كم هي موجة.
- اعلم نجم الكون كم هي نجمة: واعلم نفس العبد كم هي نفسه.
- اعلم علم الله أحصى حروفه: وأمري أمر الله إن قلت كن يكن.

[17] المرجع نفسه، ص: 80

[18] . يراجع محمود كوما ص: 86

[19] . أضواء البيان 403/1

- يقول بعضهم بارتفاع التكاليف عن الولي لأنه وصل إلى مقام لا يحتاج معه إلى القيام بذلك.
- يقول بعضهم : الأعمال بالجوارح لا وزن لها وإنما النظر إلى القلوب، وقلوبنا مشغولة بحب الله وواصلة إلى معرفة الله.[20] ويستخدم الصوفيون لفظ - {الغوث والغياث} فتلك الألفاظ لا يستحقها إلا الله سبحانه وتعالى - فهو وحده غوث المستغيث الذي لا يستغاث إلا به، وكما اجتمعت كل الطرق الصوفية على ضرورة الذكر مع اختلاف في الألفاظ والكيفية.

وعند بعضهم لفظ {الله الله} والبعض على لفظ {لاإله إلا الله} والبعض على لفظ {هو هو هو} بلفظ الضمير عند اشتداد الذكر.

إن الاقتصار على الاسم المفرد مظهر أو مضمر لا أصل له فضلا أن يكون من ذكر الخاصة والعارفين[21]

اختلافات جوهرية بين الإسلام والتصوف الفلسفي البدعي:[22]

في التصوف يمكن للشيخ أو الولي أن يعلم الغيب. وفي الإسلام لا يعلم الغيب إلا الله.

في التصوف يمكن أن تتوجه بالدعاء للشيخ أو الولي. وفي الإسلام لا يتوجه بالدعاء إلا لله عز وجل وحده لا شريك له.

في التصوف يمكن للشيخ أو الولي أن يصل للدرجة الكونية، أي أن يقول الشيء كن فيكون.وفي الإسلام الله عز وجل وحده الذي يقول للشيء كن فيكون.

في التصوف هنالك طرق كثيرة وكل طريقة تدعي أنها الفرقة الناجية. وفي الإسلام هنالك طريق واحد هو طريق الرسول ﷺ: قرآن وسنة بفهم سلف الأمة.

في التصوف لكل طريقة أذكار وأوراد خاصة بها. وفي الإسلام هنالك أذكار محددة أتتنا عن طريق رسول الله ﷺ بالأسانيد الصحيحة.

في التصوف عندما يدفن الشيخ أو الولي يبنون على قبره بنيان(قبة). و الإسلام نهي عن البنيان على القبور والرسول ﷺ أمر بتسويتها.

في التصوف يمكن أن يطوف-الناس-حول قبر الشيخ الصوفي. وفي الإسلام لا يكون الطواف إلا حول الكعبة.

في التصوف يجب على المريد أن يكون ذليلا منكسرا فقيرا للشيخ. وفي الإسلام يكون الإنسان حرا لا ينكسر ولا يتذلل إلا لله عز وجّل الذي خلقه وأنعم عليه وأكرمه.

---

[20]. المرجع السابق ص: 88

[21]. المرجع نفسه،ص:88

[22]. صفحة مجموعة المعهد الإسلامي:95/94بتاريخ:2021/10/24م.

وباختصار: الإسلام والتصوف طريقان متناقضان، قال تعالى: {قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ النساء: ١١٥

المبحث الثاني :معتقدات الأرواحية

الأرواحية: هي علم التصورات الروحية، وفي المعنى الواسع، علم الكائنات الروحية عامة، وتعني أيضا الإحيائية، وهي علم حياتية الطبيعة التي تبدو لنا غير حية، ويدخل في هذا الإطار تقديس الحيوانات وعبادة الأجداد، ويبدو أن اسم الأرواحية، الذي كان يطلق سابقا على نظام فلسفي معيّن، قد نال أهميته الحاضرة بفضل إ.ب.تايلور.[23]

والأرواحية نمط تفكير، فهي لا تقدم تفسيرا لظاهرة مفردة فحسب، بل تسمح بفهم كامل العالم من رابطة وحيدة، ومن منظور واحد.[24]

وهناك ثلاثة أنماط تفكير (ثلاث عقائد عظمى): الأرواحي (الميثولوجي) والديني والعلمي.

وثمة عودة إلى التسلسل المراحلي للنظرات الثلاث إلى العالم، عند ما يقال إن الأرواحية بالذات ليست دينا، إنما تتضمن المقدمات التي بنيت عليها الأديان كما أنه ملفت للنظر، أن الأسطورة تقوم على مقدمات أرواحية ، إلا أن حيثيات الصلة بين

الأسطورة والأرواحية تبدو غامضة في نقاط أساسية[25]؛ فالوظيفة الدينية للأسطورة هي توضيح صور الآلهة وتزويدها بسيرة حياة وشجرة نسب وتبيان دورها في عالم الإنسان[26].

يتألف المعتقد عادة من عدد من الأفكار الواضحة والمباشرة، يعمل على رسم صورة ذهنية لعالم المقدسات، ويوضح الصلة بينه وبين علم الإنسان وغالبا ما تصاغ هذه الأفكار في شكل صلوات وتراتيل[27]. 25 وتدور العقائد الدينية حول مبادئ إعتقادية متعددة تتلخص فيما يلي:

1- الاعتقاد في إله علويّ أو كائن علويّ SupremeGod.

2- تقديس أرواح بعض الشخصيات التي لها تاريخها وأهميتها في حياة الشعب وتتمثل في روح القائد الأول أو الملك الأول الذي قاد الجماعة إلى وطنها الحالي.

3- تقديس أرواح السلف والاعتقاد في بقاء تأثيرها على حياة الأفراد والأسرة بعد الوفاة.

4- الاعتقاد في خلود الروح بصور شتى ترتبط بها فكرة عن عالم الموتى وفكرة الحلول.

---

[23] . اسيغموند فرويد: الطوطم والتابو، ترجمة : بو علي ياسين الطبعة الأولى عام 1983م، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية –اللاذقية – مشروع الزرعة، ص: 97.

[24] المرجع نفسه، ص: 99

[25]. المرجع نفسه/ ص: 100

[26] . فراس السوّاح: دين الإنسان (بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني) 1998م. 52.

[27] . المرجع نفسه، ص: 49.

5- خلع صفات روحية على ظواهر الطبيعة Animism.

6- الاعتقاد في وجود كائنات غير إنسانية وغير مرئية أو أرواح يتصف بعضها بالخير وبعضها بالشر وترتبط بها أعمال السحر الأبيض والطب وكذلك السحر الأسود والشعوذة[28]. وكذلك ثمة مزعم آخر هو أنه لا يتصور أن يرتبط الإنسان بالكائن الأسمى مباشرة إلا عبر وسائط تسترضى من البشر.

يؤمن وثنيوا الغرب الأفريقي بتجول أرواح الأجداد في الكون الفسيح، ويعتقدون أن علاقتهم مع أسلافهم علاقة قوية ويشعرون برقابتهم المستمرة عليهم لاعتقادهم بوجودها حولهم وفيما بينهم، يقول Paris: (من وجهة نظر هؤلاء : لا يوجد موت بالمعنى الشائع، بل يؤمنون بخلود النفس (الروح)، وأن هذه الوضعية التي اتخذتها الروح تجاه هذا الشخص بخروجها منه ليست إلا بداية لدورة جديدة خارج جسده المادي وتسمية هذه الأحوال موتا يعد أمرا مغلوطا، بل هو تحول من الحالة الفيزيائية للحياة إلى الحالة الروحية الخالدة)[29].

إن الرقصات في المواسم الدينية (الزّيّاح La procession) التي يستعمل فيها القناع في نهاية الأعمال الموسمية كالحرث، والبذر والحصاد ووقائع أصل الخلق وتنظيم العالم (الكون) والمجتمع كل هذه الأشياء يعاد بثها من جديد داخل هذه الحالات من الاحتفال في الحاضر، ويتم استلهام الماضي بكل دلالاته وحمولته. وهذا الماضي يفترض فيه أن إله قد صنع كل ذلك بمساعدة الجنّ[30].

الخاتمة:

توصلت الورقة البحثية في دراسة موضوعاتها ومحاورها إلى أهم النتائج الآتية:

1-أن التصوف الفلسفي عقيدة فلسفية قديمة نشأت قبل الإسلام في فلسفة أفلاطون، غايتها- كما يزعمون- فتح القلب على العلوم الغيبية التي لا تتلقى عن الرسل بطريقة الكشف من الله.

2- انتشرت الصوفية في العالم الإسلامي عقب اتساع الفتوحات وازدياد الرخاء الاقتصادي كردة فعل مضادة للانغماس في الترف الحضاري، مما حمل بعضهم على الزهد الذي تطور بهم إلى أن يتوخوا تربية النفس والسمو بها بغية الوصول إلى معرفة الله بالكشف والمشاهدة .

3- التصوف ليس مذهبا ولكنه في حقيقة الأمر مجموعة من الأفكار والمذاهب المتناقضة .

4-التصوف البدعي: هو الانحرف و الخارج عن الملة.

---

[28] . محمد جلال عباس : المدّ الإسلامي في أفريقيا، المختار الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى 1398هـ 1978م، ص: 20

[29] . عاصم محمد حسن محمد: الديانات التقليدية في غرب أفريقيا، قراءات أفريقية، مجلة ثقافية فصلية متخصصة في شؤون القارة الأفريقية، العدد الثالث ذو الحجّة 1429هـ – ديسمبر 2008م، ص: 76

[30] . محمد أديوان: أفكار حول القناع وأدواره في أفريقيا، أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الأفريقية على جانبي الصحراء، تنظيم : كلية الآداب (تطواق – المغرب) وكلية الدعوة الإسلامية (طرابلس – الجماهيرية) 12-1998/5/14م، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، الجماهيرية العظمى – طرابلس ، ص: 565.

5- تستعمل عبارة تصوف فلسفي للإشارة إلى التصوف الأقرب للتصور الفلسفي (قضايا طبيعة وجود العالم والإنسان وعلاقة هذا الوجود بالله) ...

6-وتستعمل عبارة تصوف بدعي للإشارة إلى بدع ومخالفات تتصل بالعبادة والسلوك، قد تؤدي إلى حدود إخراج صاحبها من الملة.

7-لقد تنوعت الطرائق التي تتناول كنه التصوف، وتعددت الوسائل التي تحاول الوصول إلى حقيقته، فازدادت زوايا النظر للتصوف عمقا واتساعا، لاسيما وأن التصوف مهتم بكل ما يمس الروح والنفس، وهما من أسرار الله تعالى في خلقه.

8- أن أحد أبرز موضوعات التصوف هو أصول الوصول، وطرائق القبول، وإدراك الأسرار، ومعرفة الخفايا وما وراء الأستار، وكل ما هو مكنوز في خزائن أسماء الله تعالى وصفاته، متجليا في كونه ومخلوقاته.

9- يتناول التصوف أحوال السالكين التي يجتازونها، وهي أحوال خاصة ومقامات روحانية عليا؛ تعدّ من وسائل المعرفة والإيمان والتربية والوصول، مثل الكشف والإلهام والمشاهدة المعنوية والوجد والعشق.

1- لا شك أن ما يدعو إليه الصوفيون من الزهد والورع والتوبة والرضا، إنما هو من أمور الإسلام حقا، ولكن الذي وصل إليه بعضهم من الحلول والاتحاد والفناء وسلوك طريق المجاهدات الصعبة فليس من الإسلام في شيء.

المصادر والمراجع:

1- ابن تيمية: التصوف, مجموعة الفتاوى الجزء الحادي عشر.

2- ثيودورا دي كيرغ تينغا:حكايات من بلاد السودان،ترجمة:د.وليلاي كندو،مجمع أفريقية للدراسات والتوثيق والنشر،الطبعة الأولى 1435هـ/2014م.

3- د.عبد العليم عبد الرحمان خضر:التراث الثقافي للأجناس البشرية في أفريقيا بين الأصالة والتجديد،النادي الأدبي الثقافي،م، ع،س، الطبعة الأولى 1406هـ/1985م.

4- أ. د. حسن الشيخ الفاتح قريب الله: في الزهد والتصوف, السودان, الخرطوم بدون تاريخ.

5- روجيه غارودي: فكر هيغل, ترجمه وقدم له: إلياس مرقص, دار الحقيقة, بيروت, الطبعة الثانية 1983م.

6- سيغموند فرويد: الطوطم والتابو، ترجمة : بوعلي ياسين الطبعة الأولى عام 1983م، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية – اللاذقية – مشروع الزرعة.

7- عاصم محمد حسن محمد: الديانات التقليدية في غرب أفريقيا، قراءات أفريقية، مجلة ثقافية فصلية متخصصة في شؤون القارة الأفريقية، العدد الثالث ذو الحجّة 1429هـ – ديسمبر 2008م.

8- د. عبدالله حسن زروق: منهجية لدراسة التصوف)أصول التصوف(المركز القومي للإنتاج الإعلامي, أبريل 1995م/ ذو القعدة 1415هـ الطبعة الثانية: 1417هـ/ 1996م الخرطوم.

9- د. عبد الله عبد الرازق إبراهيم: أضواء على الطرق الصوفية في القارة الأفريقية, مكتبة مدبولي ,القاهرة, محرم 1410هـ / أغسطس 1989م.

10- عثمان نوري طوباش: التصوف من الإيمان إلى الإحسان, دار الأرقم, إستنبول: 1436هـ / 2015م

11- عمر بن محمد دوكوري المرجي، الدليل المقنع في ردع البدع والخرافات،طبعة محبرة هلوار،الطبعة الأولى 1422هـ/2000م

12- الدكتور عيسى عبده وأحمد إسماعيل يحي: حقيقة الإنسان, دار المعارف, الطبعة الثانية 1981م.

13- فتح الرحمان أحمد الجعلي:الإيمان بالله والجدل الشيوعي،دار الفكر للطباعة والنشر،الخرطوم-السودان،الطبعة الثالثة 1406/1986م.

14- فراس السوّاح: دين الإنسان (بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني) 1998م.

15- كورو ماكان سيدو:التصوف الإسلامي في مالي نشأته وتطوره،بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الفلسفة الإسلامية،جامعة القاهرة،كلية دار العلوم ،قسم الفلسفة الإسلامية 2012م.

16- محمد أديوان: أفكار حول القناع وأدواره في أفريقيا، أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الأفريقية على جانبي الصحراء، تنظيم : كلية الآداب (تطواق –

المغرب) وكلية الدعوة الإسلامية (طرابلس – الجماهرية) 12-1998/5/14م، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، الجماهرية العظمى – طرابلس.

17- محمد جلال عباس : المدّ الإسلامي في أفريقيا، المختار الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى 1398هـ 1978م.

18- أ. محمود كوما: الفكر الإسلامي الطبعة الثانية, نشر وتوزيع المكتبة الإسلامية الحاج عيسى أنغويبا, باماكو- مالي بدون تاريخ نشر.

19- لينين: الدفاتر الفلسفية(1-2-3) ترجمه وقدم له: إلياس مرقص, دار الحقيقية- بيروت, الطبعة الثانية 1983م.

20- هوبير ديشان:الديانات في أفريقيا السوداء،ترجمة:أحمد صادق حمدى،المركز القومي للترجمة،العدد:1769،القاهرة 2011م.